

تشكيليون فلسطينيون (91) الفنان تيسير بركات

خاص بمؤسسة فلسطين للثقافة

عبد الله أبو راشد*

الفنان التشكيلي الفلسطيني "تيسير بركات" المولود في مخيم جباليا بقطاع غزة عام 1959. برزت مواهبه الفنية التشكيلية وصُقلت في ظلال المخيم، الذي عاشه طفلاً ويافعاً وحاملاً همومه ودروب آلامه الفلسطينية متعددة الطرقات وفق أدواته الفنية المتاحة. تابع دراسته الأكاديمية في كلية الفنون الجميلة بجامعة الاسكندرية المصرية مُتخرجاً بشهادة بكالوريوس تخصص رسم وتصوير عام 1983. عاد بعد تخرجه إلى رحاب الوطن الفلسطيني للعيش في مدينة رام الله، عاملاً في سلك التعليم كمدرس في كلية مجتمع المرأة فيها. وليكون عضواً فاعلاً في "جماعة التجريب والإبداع" ومن مؤسسي مركز الواسطي للفنون بمدينة القدس. أقام مجموعة من المعارض الفردية داخل المدن الفلسطينية وخارجها في الدول العربية والأعجمية، ويُعد معرضه الفردي الأول في مدينة القدس عام 1986 نقطة البداية لمسيرة عروضه المتوالية.



أعماله الفنية متعددة الخصائص والصنائع التقنية وتتجاوز نمطية المجال الفني التشكيلي الواحد، يجوب واحة التجريب ما بين تخصصات فنية متعددة، متنقلاً في حداثتها الفنية المفتوحة على فطرية التأليف الشكلي والتوليف التقني والتعبيري المقصود. والموصول بعوالم طفولة لا تنتهي في حدود مخيمه الذي أحبه وسكن مناطق عديدة من

مساحة وعيه ومخيلته الثرية بملونات الصور، والتي ترجمها كنصوص فنية تشكيلية متنوعة وعلى طريقته الخاصة. لا تقف في حدود مواضيع نمطية أو مدرسية أكاديمية محددة، ولا تقبل الركون إلى مدرسة واتجاه فني بعينه. يشوبها دثار الحرية المطلقة المتحركة في فضاء التكوينات المتنوعة والتي يصوغها وفق مزاجه الشخصي ورؤيته لمؤلفات الأشكال ومتواليات الصور.



اعماله الفنية تركيبية متحررة من حيث ملامستها لمواضيع مختلفة الرؤى والمواضيع، ومتباينة التقنيات والمركبات اللونية والخامات متعددة الصنائع. هي مفتوحة على تيارات الحداثة المنفلتة من عقال التيارات المدرسية المقيدة. بقدر ما هي موصولة بمداد تجاربه ومكتشفاته لطاقت الخامات والمواد والملونات المستعملة، وحسن تعامله معها وتوظيفها بالشكل الذي يراه مناسباً لوصول فكرته ومبتكراته لجمهور الفن والتلقي. جامعة ما بين الفطرية المدقعة، والتعبيرية الجامحة، والرمزية الغارقة في قصص المخيم وتلمس معاناة شعبه بعامة، والطفولة الفلسطينية المعذبة بصورة خاصة. وهي أشبه برسائل تحريض وثوراة رافضة لواقع فلسطيني أليم.



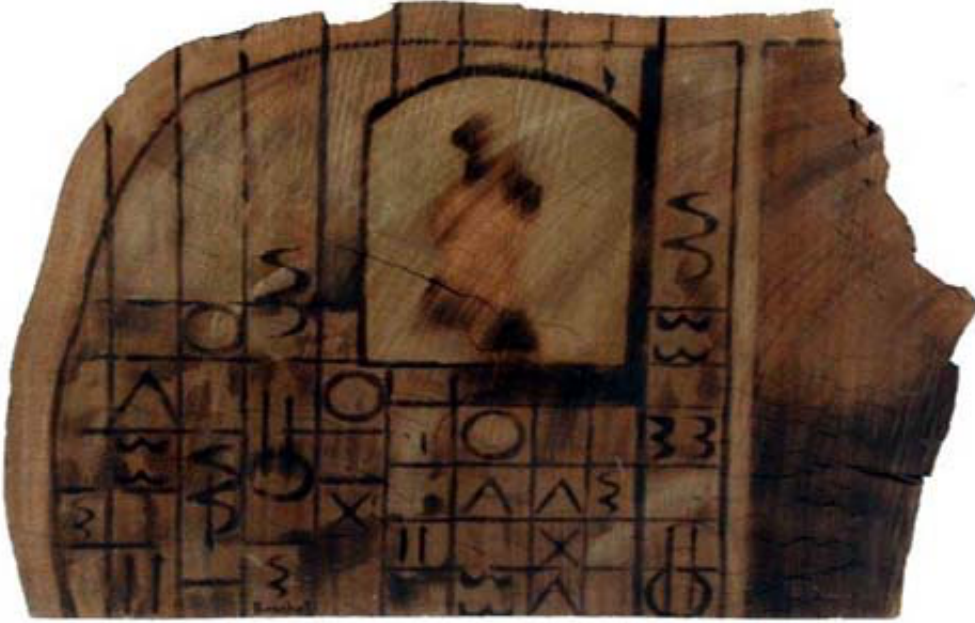
لوحاته التصويرية موزعة ما بين التعبيرية الرمزية، والرمزية التجريدية، تدخل أسوار الأنا الفردية المعبرة عن الأنا الجمعية المتدثرة بلبوس المخيم والخيمة وأيام الذل والمهانة العابرة مع بدايات اللجوء، وظلال الإنسان المتجلية بمرصوف مواضعه المنتشرة في متن نصوصه كأشكال هلامية وتعبيرية، ليتحول المخيم من حالة البؤس ومدارات الألم والقهر إلى مستودع الثورة وخزانها البشري الذي لا ينضب معينه. ويُصبح للمخيم نكهة فلسطينية خاصة، باعتباره عنوان عريض للمقاومة الفلسطينية المعبرة عن آمال شعبها في التحرير والعودة. يكون الأطفال والصبية وقودها وجذوة نضالها المتواصل. معبراً الفنان عن هذه الروح في تشكيلات ونصوص بصرية متعددة.



أما أعماله التركيبية هي بدورها موصولة بنبش ركام تاريخ المنطقة العربية وتراثها وفلسطين في المقدمة، باحثة عن ماضٍ مجيد وتقديمه بصور تشكيلية معاصرة كرد طبيعي على جميع أكاذيب الصهاينة وكهنتهم ومؤيديهم من أعاجم وقتلة مارقين. وكأن لسان حاله الفني والفكري يقول ان هذه الأرض الفلسطينية المباركة كانت ومازالت منذ أمد الأمدين أرضاً عربية لا مكان فيها للصهاينة القتلة والمغتصبين والمارقين، ولا مكان لاساطيرهم ومقولاتهم ومهاتراتهم حول أرض الميعاد وخلافه. فالأرض الفلسطينية هي فلسطينية عربية مسلمة، إنسانية في ابعادها ووجودها الحضاري.



تعامله التقني مع مجمل أعماله، محكوماً بطبيعة الفكرة ومحتوى الموضوع المطروق، متكيف مع سمات تقنياته، تارة تجده يستعمل بعضاً من الرمال البحرية وسواها في تماسك عجائنه اللونية ليعطيها صبغية شكلية مشابهة لتضاريس جغرافية متناغمة مع ذاكرة مكانه الفلسطينية الطبيعية. وتارة يوظف الخامات المحلية الشعبية منها والصناعية ليبنى عالمه الشكلي المناسب مع روح الفن التشكيلي المعاصر واقترابه من وعي الآخر ومجونه التشكيلي. وأحياناً يستخدم الألواح والصناديق الخشبية لبناء تكوينات تعطيه أنماطاً من التفرد والخصوصية. في جميع الأحوال نجده فاعلاً ونشطاً ومُجدداً في تنويعات مقاماته السردية، وتحشيد رؤاه الذاتية في ولائم بصرية مفتوحة على القراءات الفنية المتعددة.



وتفسح المجال للمتلقي العابر والدارس والناقد للتعرف عليه كإنسان وفنان ومناضل على جبهة الفن والمجتمع على حد سواء. وما البنى الشكلية لمكونات لوحاته التصويرية وأعماله التركيبية، وتوزيع عناصرها في حدود المساحات المطروحة، أو في توضعها في حيز المكان المعانقة للكتل المرصوفة وعناقها للسطوح والفراغات. واتباع الرتابة الشكلية المعهودة في فنون المنطقة العربية المغرقة بالقدم التي شهدتها بلاد الشام منذ فجر التاريخ، من مصفوفات أفقية ومتوالدة في تراكمات تشكيلية فوقية شبيهة بالرقميات والأختام والمنمنمات، ما هي إلا دلالة محسوبة للفنان وجودته في التعاطي مع رموز التاريخ ومعطياته، وعلى وعي دوره الفني والحضاري التي يخاطب فيه العقول قبل الأبصار. وليبقى الفنان وأعماله معزوفة فلسطينية تشكيلية متفردة في مضمونها وتقنياتها المعزوفة.

* فنان وناقد تشكيلي فلسطيني

arts1a@yahoo.com